201911 ـ هل الحسن البصري من الصوفية ؟

السؤال

ما مفهوم تصوف الزهد ؟ وهل ينسب الحسن البصري رحمه الله للصوفية؟ والفرق بين تصوف الزهد والتصوف الفلسفي ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

ينبغي أن يعلم أن لفظ التصوُّف من الألفاظ الحادثة في الإسلام ، إذ لم يكن معروفًا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد أصحابه ، بل ولم يشتهر ذكره في القرون المفضلة الثلاثة الأولى.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أَمَّا لَفْظُ (الصُّوفِيَّةِ) فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ ؛ وَإِنَّمَا اُشْتُهِرَ التَّكَلُّمُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَدْ نُقِلَ التَّكَلُّمُ بِهِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالشُّيُوخِ ؛ كَالْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني وَغَيْرِهِمَا ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ، وَبَعْضُهُمْ يَذْكُرُ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ " انتهى من " مجموع الفتاوى " (11/ 5).

وعلى هذا؛ فنسبة الحسن البصري إلى التصوُّف بالمعنى الاصطلاحي الذي عُرِفَ عند المتأخرين ؛ هي نسبة غير صحيحة ؛ فإنَّ التصوف بالمعنى المفهوم لم يكن قد نشأ في وقت الحسن البصري .

ثانيًا:
تصوُّف الزُّهد الذي يُروى في كتب الصُّوفيَّة ، أو كتب الرقائق ، عن الحسن البصري أو غيره من السلف والأئمة ، ممن لهم لسان صدق في الأمة ، المقصود به:
العناية بباب الأخلاق والزهد والرقائق ، وما أشبه ذلك ، بحيث يكثر الإشارة إلى ذلك ، بل والعبارة عنه ، في أقوالهم ، ومأثورات أخبارهم وأحوالهم . وقد نُقِلَ في ذلك عن الحسن البصري الشيء الكثير الطيب النافع ، وهذا سرُّ وجود بعض أقواله في كتب الصُّوفيَّة.

والتصوُّف بهذا المعنى هو من دين الإسلام ، وهو أمر حسن مطلوب ، كما هو ظاهر.

ثالثًا:
التصوُّف الفلسفي هو المآل الذي انتهى إليه تطور خطوات الإحداث والابتداع في المفاهيم والتصورات التي دخلت إلى طريق

التصوف ، وواكبت التطور والإحداث المسلكي ؛ فحاصل انحراف طريق التصوف ، عن الطريق السلفي الأول : إحداث مسالك تعبدية مبتدعة ، خارجة عن السنن الأول ، وما كان عليه السلف الصالح .

والثاني : إدخال مسائل علمية ، وتصورات ومفاهيم ، هي مسالك علمية مبتدعة ، نشأت من جراء اتصال الحركة العلمية بالفلسفات اليونانية والوثنية بصفة عامة ، ومذاهب الباطنية والغنوصية .

فقد بدأ التصوُّف كـ"حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري ، كنزعاتٍ فردية ، تدعو إلى الزُّهد وشدة العبادة كردِّ فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ، ثم تطوَّرت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية ، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة ، لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية!! ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية : الهندية والفارسية واليونانية المختلفة " .

انتهى من " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة "(1/ 249).

وهذا التصوُّف الفلسفي يتفاوت في بعده عن السنة بقدر ما يحصل فيه من العقائد والسلوكيات المخالفات للكتاب والسنة ، ومنهج الصحابة والسلف في الزهد والتقلل من الدنيا ، حتى يصل الأمر ببعض فرق الصوفية إلى ارتكاب نواقض مخالفة لأصل الديانة وصحيح الاعتقاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ، وأبو القاسم القشيري في الرسالة : كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ، ومذهب أهل الحديث ، كالفضيل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم ، وكلامهم موجود في السنة ، وصنفوا فيها الكتب . لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة .

وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين ، فصارت المتصوفة : تارة على طريقة صوفية أهل الحديث ، وهم خيارهم وأعلامهم . وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام ، فهؤلاء دونهم . وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة ، كهؤلاء الملاحدة " انتهى من "الصفدية" (1/267) .

وللاستزادة يمكن مراجعة السؤال رقم : (4983) و (166464) .

والله أعلم .